نزاهة النقـــــد

للأستاذ عبد الفتاح غندور

رأينا ما كتبه الأساتذة خصوم الرافعي وأنصاره فسرنا أن نلتمس النقد وساءنا أن نجد ما لا يرضى . وما كان لمثلي أن يلج هذه المعركة ناقداً أو حكماً قبل أن تنتهي لئلا يفوتني شيء من مواقفها فأصدر عن جهل فيما أحكم وأقايس ، فأقع في ألسنة النقاد وأقلامهم ، ويالها من ورطة حامية الوطيس إذ ذاك . غير أني آثرت الإقدام إذ وجدتني مضطراً — بعد تفكير — لتقديم رأيي قبل أن تنتهي هذه المعركة ، ويلوح لي أنها لا تنتهي ، لعلي أصل إلى بعض ما يمكن أن يصل إليه حكم عدل وناقد بريء . فأقول :

قبل كل شيء يجب أن نعرف أن كل إنسان يستطيع أن يسيء وليس كل إنسان يستطيع أن يحسن . وإذاً فلا يصح أن يعتبر السوء يوماً ما أداة لمفخرة أو تكأة لمكرمة ، لأن الناس كلهم فيه سواء ولأنه سوء أيضاً ؛ وعلينا أن نتوسع في معنى السوء — كما نتوسع في معنى الحسن — ولندرك جميع شظاياه التي تفتك وتؤذي . وإذا توسع الأديب في ذلك أدرك الخطر وتسنى له أن يطير — كما يطير في كل مجال — إلى خيالاته المذبة ليفصل على جسم هذه الحقيقة ثوباً يليق ، حتى إذا ما رأى حقيقة ماثلة بثوبها الخيالي الفخم أعطى كل شيء حقه ثم اهتدى إلى أن هذا الضرب من المعاملة الخشنة لا يجدي ولا يفحم ، بل يؤذي ويؤلم ، ولا سيما إذا كان مصدره الأدب والأدباء والنقد والنقاد

عاش الرافعي ليكتب أدبه ثم يموت ؛ وقد أراد الله للرافعي أن يكون في هذه الدنيا عجباً ، وشاء أن يجعل أدبه نسخة عجيبة لم ينسج على منوالها قلم لتكون مشكلة من المشاكل التي يختلف عليها الناس فيذهبون في تأويلها مذاهب شتى ، وللناس مذاهب فيما يعشقون

أما الرجل فقد مات ، وأما أدبه فوجود ، وأما آراء الناس فيه فكثيرة ؛ ويعجبني التقدير للجهد والاحترام للأدب والإنصاف في النقد والحسن في الخلق . وإذا تم للرأي هذا القانون الكامل أصدر عن روية ونقد في نزاهة وسبر غور الموضوع كالطبيب الماهر الذي يعرف كيف يحتال للجراحة وتفاصيلها ليصح المريض على يديه لا ليموت . وبعد ما مات الرافعي جعلت أرقب أقوال الناس ، أرهفت أذني وأيقظت نفسي ؛ وكان أن كتب الزيات وغيره مقالاتهم في هذا الشأن فجئمت لقراءتها والتأمل فيها فاجتمع لي بعض الرأي ، وأعقب ذلك فترة طويلة كان المرياني فيها يكتب تاريخ الرافعي . على أنني كنت أرقب حلول مفتتح هذا العام لأقرأ مقالات الأدباء بمناسبة مرور عام على وفاته ، فظفرت في الرسالة بمقالة عنوانها « بين الرافعي والعقاد » للأستاذ سيد قطب فالتهمتها التهاماً ؛ ثم عدت مرة أخرى أروي تأملاتي فيها فلذ لي من الأستاذ أدبه وذكاؤه وصراحة ضميره ، وتمنيت أن لو ضم إلى ذلك حسن المواجهة ولين المجابهة تجاه أخيه الأديب الذي هو شريكه في الشعور والفكرة والقلم . وأخذت أفكر في حسن هذه المواجهة وكيف يجب أن تكون ؛ وقلت ما كان ضره لو قال قولاً أرق وأحسن وأدعى لحرية النزاهة : ياليته ويا ليته ...

وأستميح الأستاذ أني كنت أخذت عليه ما كتب كما أخذت على الأستاذ محمود محمد شاكر ما أملاه في الرد أيضاً ، ولكنه معذور بعض العذر لأن الجروح قصاص . ولو كتب الأستاذ شاكر رداً جميلا أرق مما كتب فهل كان الأستاذ قطب يستمر ويزداد في غلوائه يا ترى ؟ ولا أدري هل يحتجني الأستاذ شاكر بأن الأستاذ قطب قد شن الغارة دفعة وغلا ثم غلا وتحدى أصدقاء الرافعي فكان لزاماً أن تحفظ كرامة الرجال وكرامة الشعور فرددنا عليه بما يلائم المقام ؟

وهنا يجدر بي أن أذكر ما كان وقر في نفسي تجاه أستاذي الكبير « الزيات » حفظه الله عند ما كتب الأستاذ قطب حديثه هذا ... ليغفر لي سوء ظني على رغم أن لي مندوحة عن هذا الغفران بالتوبة المستورة ، ولكن الأديب يلذ له إظهار ما يخفيه الناس . قلت في نفسي كان يحسن بأستاذنا أن يعتذر من نشر مقال الأستاذ قطب أو يكتب له كلمة على الأقل في هذا المعنى يبين له فيها وجه

الأجنبية وحسن الاختيار فى العدول عن هذه الخطة لا حباً للرافعى ، ولا بغضاً للأستاذ قطب ، بل تحرياً للأولى واحتياطاً لما سينجم عن ذلك كله. ولماصدر العدد ٢٥٣ والعدد ٢٥٤ وقرأت . مقالى الأستاذ الزيات عن الرافعى أخذتنى — والله — هزة الطرب ونشوة الأدب لما فيهما من الصفاء النقدى النزيه الذى لاتشوبه ثورة ولا تخالطه كدرة ، حتى لكأن هذين المقالين صورة روحية للرافعى لو صُبتا فى قالب الحياة لكانتا هما الرافعى نفسه . لا تؤاخذنى ياصاحب الرسالة فيما رميتك من سوء الظن . وما كنت أدرى أن سماءك الصافية ستغدق وابلا من الخير والجمال والحياة تعلمنا فيه — معاشر المتأدبين — كيف نرتع فى رياض الأدب الجميل الذى لا تصلح له إلا ملائكة السماء أو ملائكة الأرض ليكون مثلا أعلى للناس دائماً

ماذا يضيرنى إذا قلت للمخطئ إنك مخطئ بدلا من أن أقول له إنك غبى ... بليد ... لا، بل يجب علىّ — وأنا أديب — أن أحتال فى إفهام المخطئ خطأه من غير أن أسارحه به ما دام هناك شعور رقيق وإحساس مرهف . وما دمنا نحمل بين جوانحنا الانسانية المتأدبة التى تحتّم علينا الاحسان والرفق والمودة فلن نجد إلى غيرها سبيلا

أرأيت ما الذى أثار الرافعى وعقاد تلك الثورة المشهورة؟ أليس رضاء النفس والشهوة والكبرياء بما حصل ، أليست تلك زلة الانسانية التى ابتلى الله بها البشر ؟

آه ! ما أحوجنا إلى أدب صاحب الرسالة عسى أن نلتقى جميعاً ذلك اللقاء المحبب ونضم تلك الأجنحة بعضها إلى بعض لنطير فى آفاق الجمال واللذة والنور وندخل فى عالمنا الحافل الملىء بأعاجيب السحر وأناشيد الخلود ، ذلك خير مستقراً وأحسن موئلا

وأخيراً أرجو الأستاذ قطب أن يُحسن بى الظن ما استطاع ، وألا يظن أنى قصدته وحده فيما كتبت . إن ذلك عام ما خصصت به أحداً ، وإنما كان الأستاذ قطب السبب فى ذلك ليس غير ، فله شكرى وأخوتى ومحبتى هو وإخوانه الأدباء

« دمشق » عبد الفتاح غنيمة

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

طال انتظاري ولم ترجع ظمياء

وانقضى مساء وصباح ، ومساء وصباح ، ولم ترجع ظمياء

ومضت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال ولم ترجع ظمياء

وتقلبت دجلة من حال إلى أحوال ولم ترجع ظمياء

وطافت بالأشجار والأزهار والرياحين أطياف البؤس والنعيم ولم ترجع ظمياء

وطوّفت بجميع المعانى ، وتذوّقت سنوف اللواعج ، وتشوفت إلى جميع المطالع ، ولم ترجع ظمياء

وتلقيت مئات الرسائل فلم تكن من بينها رسالة عطف أو اعتذار من ليلى أو ظمياء

أيكون هذا آخر العهد بليلى وظمياء ؟

إنى إذاً لمن الهالكين . كتب الله لوطنى وأهلى جميل العزاء !

* * *

ولكن ما السبب فى هذه القطيعة الباغية ، وما أذكر أنى أسأت أو جنيت ؟

أيكون السبب تلك الكلمة الفكاهية التى داعبت بها ليلى بعد رجوعى من البصرة ؟

ربما كان ذلك ، فالمزاح كان ولا يزال من أشنع البليات ، وما استطاع إنسان أن يجرح قلبى إلا عن طريق المزاح. والأحباب ينسون واجب الأدب فيتطاول بعضهم على بعض باسم المزاح ؛ وذنبى فى هذه القضية غير مغفور ، لأنى انقطعت لدراسة الفلسفة عدداً من السنين ، وكان الظن أن أفهم أن المزاح على لطفه لا يخلو من أشواك ، وقلب ليلى رقيق تؤذيه خطرات النسيم ، فكيف لا يؤذيه المزاح ؟

لو رجعت إلى ليلى لأحسنت الاستغفار من ذنبى ، ولكن متى أرجع ؟

لقد داعبتنى ليلى ألف مرة فتقبلت دعاباتها بأحسن القبول ،